obeikandl.com

obeikandl.com

٨١٦ - أما قـوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[١] فدليل واضح على أنه تعالى هدى جميع المكلفين؛ لأنه ذكر الإنسان من قبل[٢]، ثم قال: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ وأجرى الخطاب على لفظ الواحد والمراد به سائر المكلفـين، ثم ذكر أنه هداه طريق الحق، ثم بين أنه وإن هداه، قد يكون شاكرا، وقد يكون كفورا.

فأما تعلق الخوارج بهذه الآية فى أن المكلف لا يخلو من أن يكون مؤمنًا أو كافرًا؛ لأنه تعالى بيّن فى الإنسان أنه إذا لم يكن شكورًا، فهو كفور، وإذا لم يكن كفروا، فـهو شاكر، فبعـيد، وذلك أن الشاكر قد يصح كـونه شاكرًا وإن كان فـاسقًا، فـقد دخل تحت الشـاكر المؤمن والفاسـق؛ لأن المقدم على بعض الكبائر خوفًا ووجلا مع العزم على التوبة والتلافى متى قام بما يلزمه من الشكر واعتراف بنعـمه، وعظمه حق تعظيمه، فهـو شاكر فاسق، وإن كنا لا نصفه بأنـه شاكر على طريق المدح، وإنما نجريه عليـه على جهة الاستـحقاق؛ فلا يدل إذن على ما ذكروه.

٨١٧ - وقوله: ﴿**فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾[٣] قد تقدم القول فيه.

٨١٨ - وقوله تعالى: ﴿**يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾[٤] فالمراد به النعـمة، لأنه تعالى هو الذى يـدخل العبد فى نعـمة الدين والدنيا، ويـدخل الجنة فلا يدل ذلك على أنه تعالى أدخله فى الإيمان.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٢) فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [الآيتان ١، ٢].

(٣) سورة الإنسان: الآية ٢٩.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣١.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨١٩ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[١] لا يدل على أنه تعالى خلق أفعال العباد، لأن استقرار الماء فى قرار من فعله تعالى. وقد بينا من قبل.

وبعد فإنه لم يذكر القرار الذى يجعله فيه، فيصح للمخالف التعلق به!

٨٢٠ - وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَوَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢] يدل على ما نقوله فى العدل، لأنه تعالى بيّن أنه لا سبيل لهم فى ذلك اليوم إلى حجة وعذر يظهرونها ليزبلوا بها عن أنفسهم ما نزل بهم وسينزل. ولو كان الأمر على ما يقوله القوم، لوجب أن يكون لهم العذر العظيم، والحجة الوكيدة. وقد بينا القول فى كيفية عذرهم وحجتهم، وبينا أنه لا يمكن أن يقال: لا يؤذن لهم فيعتذرون، وإن كان لهم عذر فى الحقيقة، وأنه تعالى أراد بذلك نفى العذر أصلا. وذلك يبين ما قلناه.

٨٢١ - وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾[٣] يدل على أن الذى يجرى فيه هو العدل، وذلك لا يصح مع القول بأن الكافر قد خُلق فيه الكفر، وقدرة الكفر، وإرادة الكفر وقدرتها، ولم يُرد منه سواه، ولم يُخلق إلا له، وجُعل بحيث لا يمكنه اختيار خلافه، والإيمان مُنع منه ولم يُعَطه، ثم يخلده فى النار أبدا ولو أراد تعالى أن يظلم - على قولهم، تعالى عنه - لم يصح أن يفعل أكثر من هذا، فلا يصح لهذا وصف ذلك اليوم بأنه يوم

---

(١) سورة المرسلات - الآيتان ٢٠، ٢١.

(٢) سورة المرسلات - الآيات ٣٥ - ٣٧.

(٣) سورة المرسلات: الآية ٣٨.

obeikandl.com

الفصل والعدل، إلا على ما نقول، من أن الكافر فيما ينزل به من العذاب إنما أتى من قبل نفسه، لا من قبل خـالقه، لأنه تعالى أزاح العلة ومكن، وسهّل السبـيل إلى الطاعة، وخوّف من المعـصية، وسهل السـبيل إلى تركهـا، فأبى العبد إلا تمردًا وإيثارًا للشهوة، فاستحق ما نزل به لسوء اختياره.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

(١) سورة النبأ.

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾[١] قد علمنا بأنه لم يرد أنه يعلم ما يأتيه العبد بالكتابة، لأنه عالم لذاته، لا تخفى عليه خافية، وإنما أمر بالكتاب وإثبات عمل العبد فيه، لكى يعلمه المكلف فى دار الدنيا، ويوقن أنه لا يقدم على سيئة إلا وتثبت فى الصحيفة. وتنشر فى الموقف وقد جمع الخلائق فيه، فيدعوه ذلك إلى الكف عن المعاصى. فلو كانت مخلوقة فيه، على ما يقوله القوم، لم يصح فى ذلك وأمثاله أن يكون لطفًا وداعيًا إلى الطاعة وزاجرًا عن المعصية!

٨٢٣ - وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾[٢] يدل على أنه لا يجزى فى ذلك اليوم إلا العدل. وأن من يعذَّب فبحق عُذِّب. ولا يصح ذلك إلا على ما بيناه من قبل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ هو ترغيب للإنسان فى أن يتخذ لنفسه مرجعًا يرجع فيه إلى المنافع والثواب. وهذا ترغيب لا يصح إلا مع القول بأن المكلف قادر على الطاعة وأن ذهب عنها، لتمكنه أن يظفر بطلبته فى المرجع الذى ذكر تعالى.

***

(١) سورة النبأ: الآية ٢٩.

(٢) سورة النبأ: الآية ٣٩.

obeikandl.com

ومن سورة النازعات

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٢٤ - قوله تعالى: ﴿﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾﴾[1] يدل على قولنا فى العدل من وجوه.

منها: وصفه تعالى للعبد بأنه طغى، وذلك لا يصح إلا مع كونه متمكنًا من أن لا يبلغ الحد الذى بلغه فى الكفر والتمرد.

ومنها: أنه وصفه بأنه آثر، لأن من لا يقدر إلا على طريقة واحدة، لا يقال فيه إنه آثره على سواه.

ومنها: وصفه العبد بأنه نهى النفس عن الهوى، فالمراد بذلك أن يمتنع من المعصية التى يقتضيها الهوى، ويقدر ذلك فى نفسه، ويوطنها عليه ويجهدها فى خلافها. وكل ذلك لا يصح إلا مع التمكن من الطاعة، لأنه لو كان لا يقدر إلا على ما تقتضيه الشهوة؛ ويوجبه الهوى، لم يصح هذا القول فيه.

***

(١) سورة النازعات: الآيات ٣٧ - ٤١.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٢٥ - قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾[١] فى أنه يدل على أن العبد قادر على أن يتعظ ويتـذكر، وإن لم يكن بهذه الصفة، بمنزلة الآية التى تقدم ذكرها فى سورة المدثر.

٨٢٦ - وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**﴾[٢] يدل على أن العبـد متمكن من التمسك بطريقة الحق؛ لأنه لو لم يكن قادرًا على ذلك لم يكن ميسرًا له، ولا كان تعالى قد يسر له، لأنه ليس بآكد من أن لا يقدر على الشيء ألبتة.

٨٢٧ - وأما قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ**﴾[٣] فإنه لا يدل على أنه ليس فى المكلفيـن إلا مثاب مؤمن، ومعاقب كافر؛ كما تـقوله الخوارج. وذلك أنه تعالى وصف هذين الفريقين، وبين أن أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ولم ينف فريقًا ثالثًا، وليس فى إثبات هذين دلالة على نفى غـيرهمـا، فلا يمتنع أن يـكون الفساق بخـلاف هاتين الصفتـين، فتكون وجوههم عليهـا غبرة، لا ترهقها فـترة. وقد علمنا أن فى الكفار من لا يطلق عليه أنه فاجر إذا كان كفـره باعتقاده، فإذا قيل للخوارج: فهذا الفرق كيف حاله؟ لم يكن لهم ملجأ إلا الرجوع إلى مثل ما قلناه.

***

(١) سورة عبس: الآيتان ١١، ١٢.
(٢) سورة عبس: الآية ٢٠.
(٣) سورة عبس: الآيات ٣٨ - ٤١.

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) سورة التكوير.

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٢٨ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١] يدل على بطلان القول بأنه تعالى يعذب أطفال المشركين؛ لأنه أورد ذلك منبهًا على أنه لا ذنب لها، وأن الذنب للوائد. ولو كان تعالى يعذبها أبدًا، لم يكن لهذا معنى؛ لأن التعذيب الدائم أعظم من قبل الوائد لها، فلئن جاز أن تعذب، ولا ذنب لها، ليجوزن القتل المتقدم، وإن لم يكن لها ذنب. ويدل ذلك على أن الكافر لم يخلق كفره فيه، لأنه لو كان كذلك، لكان حاله كحال الموءودة فى أنه لا ذنب له، من حيث أدخل فى الكفر على وجه لا يمكنه اختيار خلافه.

٨٢٩ - وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢] هو تبكيت وتوبيخ لمن أعرض عن الذكر، وعدل عن التمسك بالطاعة، وذلك لا يصح إلا وهو قادر على خلافه، لأن الواحد منا لا يجوز أن يحبس غلامه وبقيده ويمنعه بذلك من التصرف، ثم يقول له: أين ذهبت عن طاعتى فى التصرف فى التجارات والخروج فى الأسفار! ويوبخه على ذلك.

٨٣٠ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٣] فقد تقدم ذكره.

***

(١) سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩.

(٢) سورة التكوير: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة التكوير: الآية ٢٩.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٣١ - قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾[١] يدل على أن العبد بذهابه عن الطاعة قد غر نفسه، وذلك لا يصح مع القول بأن ما يختاره مخلوق فيه أن الغارَّ له كان يجب أن يكون غيره. وما عدده تعالى عليهم من النعم فى هذه الآية قصد منه إلى بعثه على الطاعة. وتمسكه بها لا يصح إلا مع القول بأنه متمكن منها، مزاح علته فيها.

٨٣٢ - وقوله: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾[٢] يدل على أن العبد يقدر على الطاعة، بأن عرفه حال الحفظة! وأنهم يكتبون كل أعماله ليكون أقرب، متى فكر فيما يحصى عليه من لحظ ولفظ قليل وكثير، إلى محاسبة نفسه، والكف عما لا يعنيه.

٨٣٣ - وقوله: ﴿**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ**﴾[٣] يدل على أن الفاجر وإن كان من أهل الصلاة، فهو من أهل الوعيد ومن أهل النار، وإنه إذا لم يتب ومات على ذلك؛ فهو فى الجحيم لا يغيب عنها، وذلك يدل على الخلود؛ لأنهم إذا لم يغيبوا عنها ولا لحقهم موت وقتًا، فليس إلا العذاب الدائم، نعوذ بالله من ذلك.

***

(١) سورة الانفطار: الآيتان ٦، ٨.

(٢) سورة الانفطار: الآيتان ١٠، ١١.

(٣) سورة الانفطار: الآيات ١٤ - ١٦.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٣٤ - قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١] لا يدل على أنه تعالى منعهم بذلك عن الإيمان، إنما يقتضى ظاهره أن ما يكسبون من المعاصى لزم قلوبهم وتقرَّر فيها؛ من حيث اشتد تمسكهم به وعزمهم على الثبات عليه، وترك الإقلاع عنه، يبين ذلك أنه تعالى بين أن نفس ما كسبوه ران على قلوبهم، وقد علمنا أن ذلك لا يكون منعًا، فالمراد إذن ما ذكرناه.

٨٣٥ - وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٢] لا يدل على ما تقوله الحشوية فى أنه تعالى يُرى يوم القيامة بأن يرفع عنه الحجب للمؤمنين فيروه، ويحتجب [عن غيرهم] فيمنعون من رؤيته، لأن هذا القول يوجب أن يكون تعالى جسمًا محدودا فى مكان مخصوص، ويجوز عليه الستر والحجاب، ويراه قوم دون قوم، من حيث يظهر فى جهة دون جهة.

والمراد بالآية: أنهم ممنوعون من رحمة الله، لأن الحجب هو المنع، ولذلك يقال فيمن يمنع الوصول إلى الأمير: إنه حاجب له، وإن كان الممنوع مشاهدًا له. وقال أهل الفرائض فى الإخوة: أنهم يحجبون الأم عن الثلث؛ إذا منموها وإن لم يكن هناك ستر فى الحقيقة. فبين بذلك أنه تعالى يمنعهم بذلك من رحمته وسعة فضله، ليبعث السامع بذلك على التمسك بطاعة الله، فيكون يوم القيامة من أهل الرحمة، لا من المحجوبين عنها.

***

(١) سورة المطففين: الآية ١٤.

(٢) سورة المطففين: الآية ١٥.

obeikandi.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٣٦ - قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾[1] يدل على أن العبد يتمكن من الإيمان وإن كان كافرًا. [و] لولا ذلك لم يكن يوبَّخ ويُلام، ويقال له هذا القول. وقد علمنا أن السفيه الذى يعرف بعض المعرفة لا يجوز أن يشد عبده ويقيده ويغلق الباب دونه، ويقول مع ذلك: مالك لا تتصرف فى الأسواق، ولا تخرج إلى البلاد! ثم لا يقتصر على ذلك حتى يضربه على ذلك! فضلاً عن أن يفعله الحكيم. فإذا كان تعالى أحكم الحاكمين، لم يجز أن يمنع الكافر من قدرة الإيمان، ولا يجعل له إليها سبيلا، ثم يقول له على طريق التوبيخ: مالك لا تؤمن، ولا تصلى ولا تسجد؟

***

(١) سورة الأنشقاق - الآيتان ٢٠، ٢١.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٣٧ - قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[١] لا يدل على قول المشبهة فى إثبات العرش مكانًا له تعالى، ولا على قول المجبرة فى أنه لا يريد الشىء إلا وفعله، لأنا قد بينا من قبل الكلام على الوجهين فى نظائر هذه الآية.

٨٣٨ - وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[٢] يدل على حدثه، لأنه تعالى وصفه بأنه عزيز كريم، ولا يصح ذلك فيه على هذا الوجه إلا والآفات تصح عليه، فإذا رفع عنه تعالى استحق هذه الصفة. ولا يجوز أيضًا أن يكون فى اللوح وليس بجسم إلا حالاً، وذلك يقتضى حدثه.

* * *

(١) سورة البروج: الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) سورة البروج: الآيتان ٢١، ٢٢.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٣٩ - ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[١] يدل على أن العبد متمكن من الطاعة وإن كان عاصيا، لأنه تعالى بهذا القول بعثه على الطاعة، لكى لا يظهر عيب السرائر فى الموقف العظيم، والفضائح الذى كان يجتهد فى كتمانها. وذلك لا يصح إلا على هذا الوجه الذى بينا.

وإذا لم يكن للمعاقب ناصر فى ذلك اليوم، فقد دل على أنه لا شفاعة لأهل العذاب، وإلا فقد كان يكون لهم ناصر يستنقذهم من الهلكة، وذلك يوجب أن الشفاعة للمؤمنين، وأنه - تعالى - يزيدهم بها درجة، على ما نقول.

٨٤٠ - وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[٢] قد بينا من قبل أن الواجب فى ذلك أن يحمل على أنه تعالى يضر بهم وينفع المؤمنين، والنبى - ﷺ - من حيث لا يشعرون ولا يظنون خلافه، بأن ينصره على الكفار فى الدنيا بأنواع لطائفه ويظفره بهم ثم يعاقبهم فى الآخرة.

***

(١) سورة الطارق: الآيتان ٩، ١٠.

(٢) سورة الطارق - الآيتان ١٥، ١٦.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٤١ - قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[١] لا يدل على أن المنزّه عما لا يجوز عليه هو اسمه دونه، ولا على أن الاسم هو المسمّى، وذلك أن الاسم المعقول هو المسموع المؤلف من حروف، وتنزيهه عما ينزه تعالى عنه لا يجوز ولا يصح، فالمراد بذلك لا يخرج عن أمرين: إما أن يكون تعالى أدب بذلك عباده، ليبلغوا فى تعظيمه النهاية، بأن يقرنوا التعظيم باسمه، وهذا كما نقول؛ وقد ذكرنا الرسول: عليه السلام، فيكون ذلك أبلغ فى تعظيمه، فى أن يكون - صلوات الله عليه - لو أراد بذلك المسمى، لأن فى التعارف الظاهر أنه يذكر الاسم ويراد به المسمى، دل على ذلك تعالى بأن ذكر الصفات التى تليق به لا باسمه، وهو قوله تعالى: ﴿الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[٢] فدل بذلك على ما قلناه

٨٤٢ - وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[٣] يدل على أن الكفار كانوا يقدرون على التذكرة والاتعاظ والعدول عن الكفر، لأنه تعالى لم يجعل ذلك شرطا من حيث إن لا يذكّر - صلوات الله عليه - إلا من علم أن الذكرى تنفعه، وقد علمنا خلافه! فإذن يجب أن يحمل على طريقة التوبيخ لهم، والبعث على الإيمان، والعدول عن الكفر.

٨٤٣ - قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٤] يدل على تمكنهم من خلافه، على ما تقدم القول فيه.

---

(١) سورة الأعلى: الآية ١.

(٢) سورة الأعلى: الآية ٢.

(٣) سورة الأعلى: الآية ٩.

(٤) سورة الأعلى: الآية ١٦.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٤٤ - قــوله تعــالى: ﴿**أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ**﴾[١] أورده تعالى ليبعث الكفــار على النظر والتدبر، ولو كان الإعراض عن ذلك مما خلقه فيهم، لم يكن ليصح ذلك!

٨٤٥ - قوله: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾[٢] يدل على أنهم ممكنون مما أمروا به، لأمر نبيه - ﷺ - بأن يذكر ويدعو إلى سبيله بالموعظة، وبين أنه ليس بمسيطر عليهم، ليحمــلهم على ما يدعوهم إليه، أو يمنعهم من خلافه، وأن الغــرض فى دعائه أن يؤثروا الإيمان، ولم يعطهم القــدرة عليه، على ما يقوله القوم.

* * *

(١) سورة الغاشية: الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) سورة الغاشية: الآيتان ٢١، ٢٢.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٤٦ - قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١] لا يدل على صحة ما يتعلق المشبهة به، فى أنه تعالى كالواحد منا، وأنه يجىء ويذهب! ولو كان كذلك لكان محدثا مدبرا مصورا!

والمراد بذلك: وجاء أمر ربك، أو متحملوا أمر ربك للمحاسبة والفصل، على ما يقال فى اللغة عند التنازع فى الأمر الذى يرجع فيه إلى بعض الكتب: إذا جاء الشافعى[٢] فقد كفانا، ويراد بذلك كتابه، وإذا جاء الخليل[٣] فى العروض انقطع الكلام، والمراد به كلامه فى ذلك.

٨٤٧ - وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٤] فإنه يدل على العدل من وجهين: أحدهما: أنه تعالى بعث الكفار والعصاة بهذا الخبر على الطاعة، وذلك لا يصح إلا مع المتمكن منها.

والثانى: أن الكافرين يوم القيامة لا يجوز أن يقولوا: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ وهو لم يكن قادرا على الأمر الذى تأسف عليه! كما لا يجوز أن يقول: يا ليتنى كنت خلقت الأجسام، أو تحركت فى الجو!

***

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٢) الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى، ولد فى غزو سنة (١٥٠) وتوفى فى مصر سنة (٢٠٤) وضريحه فى مسجده بالقرافة الكبرى.

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى، ولد بالبصرة سنة (١٠٠) وتوفى بها سنة (١٧٠) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض.

(٤) سورة الفجر: الآيتان ٢٣، ٢٤.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٨٤٨ - قوله تعالى فى صفة الإنسان: ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[1] يدل على أنه قد هدى المكلف، وبين له طريق الحق والباطل، والخير والشر، وذلك يوجب أن الهدى هو الدلالة والبيان لا خلق الإيمان فيهم. و ما ذكره تعالى من النعم يدل على أنه متمكن؛ لأنه بعثه به على طاعته والتمسك بالقيام بشكره.

* * *

(١) سورة البلد: الآيات ٨ - ١٠.

obeikandl.com